

اسم المادة: الأدب مع اليتيم والخادم

من سلسلة: على هدي النبي - شرح كتاب صحيح الأدب المفرد

لفضيلة الشيخ: أحمد جلال

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله



اسـم المادة: الأدب مع اليتيم والخادم
من سلسلة: على هدي النبي - شـرح كتاب صحيح الأدب المفرد
لفضيلة الشيخ: أحمد جلال

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

أهلًا وسهلًا ومرحبًا بإخواني وأخواتي وأهلي وأحبابي، وأسأل الله –سبحانه وتعالى– الذي جمعني وإياكم في هذه الساعة المباركة على طاعته، أن يجمعني وإياكم في جنته ودار كرامته، مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

وبعد:

اليوم بإذن الله –تبارك وتعالى– نتكلم على جزء جديد من الأجزاء المتعلقة بالإحسان إلى الخلق، وحسن المعاملة الطيبة، وحسن الخُلُق مع الخَلْق أجمعين.

اتكلمنا بفضل الله –عز وجل– عن بر الوالدين، عن صلة الأرحام، عن حقوق الجار، واليوم بإذن الله –تبارك وتعالى– الشيخ بيتكلم معانا عن نوع جديد من أنواع الإحسان، وهو من الصور الجميلة جدًّا، التي لن نراها إلا في ظل هذا الدين العظيم الكريم.

الشيخ بيتكلم على باب فقال: باب الإحسان إلى البرِّ والفاجر، فقد ذكر عن محمد بن علي، في قول الله –سبحانه وتعالى–: "هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ" الرحمن:٦٠، فقال: هي مسجلة للبَرّ والفاجر، هذا الإحسان مش للمؤمن بس، لا، ده للمؤمن وللكافر، الطائع والعاصي، وأظن القاعدة دي أحبابي، يعني خدنا بالنا منها أوي في التلات دروس اللي فاتوا، باب الإحسان أو بر الأم المشركة، حديث أسماء: جاءتني أمي وهي راغبة، فقلت للنبي: أأصلها وهي مشركة! فقال النبي: "صليها"[1]، وورد معانا صلة الرحم إذا كانت مشركة، حديث عمر لما أهدى الحلة لأخيه المشرك، كذلك أيضا في الجار، لما قلنا إن عبد الله بن عمرو بن العاص أول واحد كان بيدي له الهدية كان جاره اليهودي. فهنا الإمام البخاري بيقول إن الإحسان لا يقتصر على البر بس دون فاجر، أو على المسلم بس دون الكافر، لا، هذا الإحسان إنما يكون للبر والفاجر، لقول الله: "هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ" الرحمن:٦٠.

[1] روايات الحديث هنا



ثم ذكر الشيخ بعد ذلك نوع جديد من أنواع الإحسان إلى الخلق، وهو الإحسان إلى اليتيم.

أحبابي، اليتيم ذكره الله –سبحانه وتعالى– في القرآن في عشرات المواطن، تقريبًا سبعة وعشرين لاتنين وتلاتين مش متذكر من سبعة وعشرين لاتنين وتلاتين موطن في القرآن، تأكيدًا على حقه، وتحذيرًا من سوء معاملته، وتأكيدًا على الحرص على رعاية هذا اليتيم النفسية، والمادية، والبدنية، والعاطفية، وغير ذلك.

يكفينا أن نعلم، أن الله –سبحانه وتعالى– ذكر لنا أن هناك أقوام يوم القيامة يُعَذَّبُون عذابًا شديدًا بسبب عملهم، لأنهم كانوا لا يكرمون اليتيم، قال –تعالى– في سورة "الفجر": "كَلَّاۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا * كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي" الفجر١٧:٢٤، يا ريتني كنت أحسنت لهذا اليتيم، لما رأى أهوال والعقبات اللي موجودة في أرض المحشر، علم يقينًا أن تقصيره في حق اليتيم كان سبب أنه –والعياذ بالله– ما نجا، بل سقط في جهنم يوم القيامة.

أصرح من ذلك ما قاله الله –سبحانه وتعالى–، في سورة "البلد": "فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ" البلد:١١، يوم القيامة العقبة الكؤود الشديدة الصعبة دي، "فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ" البلد١١:١٢، اللي عايز ينجو يوم القيامة من عقبة يوم القيامة "فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ" للتحذير والتهويل من شأنها، "فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ" البلد١٣:١٥، اللي هيعدي من عقبة يوم القيامة، عقبة الصراط، وعقبة السؤال، وعقبة الميزان، وعقبة القبر، وعقبة الحشر والنشر، كل العقبات دي لن ينجو منها إلا من كان في يوم من الأيام بيطعم يتيم، ويحسن إلى يتيم.

ربنا –عز وجل– قال لنا يا جماعة اللي لا يكرم اليتيم ده واحد مش مؤمن أصلًا بيوم القيامة، لأن المؤمن بيوم القيامة يؤمن أنه لازم يكرم اليتيم، قال –تعالى–: "أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ" الماعون:١، والدين هنا يوم القيامة، "أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ" الماعون١:٢، يدفعه وينهره، وغير ذلك.

ربنا –عز وجل– إدى للنبي أمر مباشر، فقال للنبي –صلى الله عليه وسلم–: "أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ" الضحى:٦ ربنا بيقول له: فاكر لما أنت كنت يتيم، وربنا –عز وجل– رعاك وآواك، فدي نعمة إنك تجد من يرعاك عند الصغر، شكرها إزاي يا رب؟ "فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ" الضحى:٩، إذا كان ربنا إدالك أب وأم، عايز تشكر ربنا على نعمة الأب والأم اللي راعوك وأنت صغير، شكرها إنك تكفل يتيم، إذا كنت قادرًا على ذلك.

النبي –صلى الله عليه وسلم– كما عند النسائي في سننه الكبرى، يقول: "إِنِّي أُحَرِّجُ عليكم حقَّ الضعيفينِ: اليتيمُ، والمرأةُ"، لازم نفهم كويس جدًّا جدًّا، إن مسألة اليتيم لها عناية خاصة في القرآن، عشان كده الشيخ ذكر لنا باب فضل من يعول يتيمًا، ثم ذكر حديث: "السَّاعِي علَى الأرْمَلَةِ والمِسْكِينِ كالْمُجاهِدِ في سَبيلِ اللَّهِ، أوْ: كالَّذِي يَصُومُ النَّهارَ ويقومُ اللَّيْلَ"[٢].

---

[٢] صحيح البخاري

عايزين تعرفوا قد إيه ربنا -سبحانه وتعالى- أعطى عناية لليتيم؟ اقرأوا سورة الكهف، عشان تعرفوا إن ربنا أرسل نبي من أولي العزم من الرسل، وأرسل رجل من الصالحين من خيرة عباد الله -عز وجل- الخضر، علشان يتولوا إقامة الجدار لغلامين يتيمين في المدينة.

عايزين تعرفوا قد إيه قدر اليتيم؟ شوفوا إزاي ربنا كان بياخد الميثاق على كل أمة من الأمم إن هيا ترعى اليتيم ولا تهجره ولا تعنفه، "وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ" البقرة:٨٣، شوفوا ربنا إزاي أمرنا أوامر صريحة، "وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ" النساء:٣٦.

عايزين تعرفوا قد إيه ديننا راعى قضية اليتيم؟ بصوا لجعفر لما وقف بين أيدين النجاشي ويقول: يا أيها الملك العظيم، إنه قد بعث إلينا رسول أمرنا بكذا وكذا، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة.

عايزين تعرفوا قد إيه ربنا -سبحانه وتعالى- أعطى عناية لمن يكفل يتيمًا سواء كان له أو لغيره؟ ما هو ممكن تكون الأم النهاردة زوجها مات، فأصبحت دول أيتامها، كفلتهم، لها أجر عظيم عند الله.

قال الإمام البخاري: باب فضل من يعول يتيمًا له، قالت عائشة: "جَاءَتْنِي امْرَأَةٌ معهَا ابْنَتَانِ تَسْأَلُنِي، فَلَمْ تَجِدْ عِندِي غيرَ تَمْرَةٍ واحِدَةٍ، فأعْطَيْتُهَا -أديت لها التمرة- فَقَسَمَتْهَا بيْنَ ابْنَتَيْهَا -أدت دي نص ودي نص- ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، قالت: فتعجبت لذلك، فَدَخَلَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَحَدَّثْتُهُ، فَقالَ: مَن يَلِي مِن هذِه البَنَاتِ شيئًا، فأحْسَنَ إلَيْهِنَّ، كُنَّ له سِتْرًا مِنَ النَّارِ"[3]

سبحان الله! ده هي بترعى بناتها، ولكن لأن هما أيتام شوفوا ربنا -عز وجل- جعل من الفضل هكذا.

من أراد أن يعلم قدر عناية هذا الدين العظيم بمسألة كفالة اليتيم، انظروا إلى قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "أنا وَكافِلُ اليتيمِ في الجنَّةِ كَهاتين، وأشارَ بأصبُعَيْهِ يعني: السَّبَّابةَ والوسطى"[4].

ابن عمر -رضي الله عنه- كما ذكر الإمام البخاري في الأثر (١٣٤)، ابن عمر كان لا يأكل حتى يأتي يتيمًا له ليأكل معه، وأنه أوتي ذات يوم ابن عمر بطعام، فطلب يتيمه فلم يجده، فجاءه بعدما فرغ ابن عمر، فدعا له ابن عمر بطعام، لم يكن عندهم، فجاءه بسويق وعسل، أحسن من الأكل اللي أكله ابن عمر، يعني الأكل اللي موجود كان اليتيم بياكل مع ابن عمر منه، طب الأكل ده خلص، طب أحنا عايزين نأكل اليتيم، فبعت ابن عمر جاب أحسن أكل، وأفضل أكل، وقدمه لليتيم.

كفالة اليتيم كتير من الناس بيظن إن هي مسألة متعلقة بالأكل والشرب، لا والله، المسألة مش كده خالص، ولكن المسألة متعلقة بإحسان التربية، بإطعامهم وإحسان الطعام لهم، يعني أنا النهاردة عندي يتيم، للأسف يا جماعة ما تخلوش علاقتكم باليتيم إن أنا أروح لملجأ أيتام أرمي تلاتين جنيه كل أول شهر، أو أربعين جنيه، أو خمسين جنيه كل أول شهر، لا لا لا، والله مسألة إنك تطعم بس اليتيم، أكلة إنت بتحبها، لها أجر عظيم عند ربنا -عز وجل-، شوفوا ربنا بيقول لنا إيه في سورة الإنسان: "وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً" الإنسان٨:٩، في يوم من الأيام أحسن أكلة إنت بتحبها خدتها ورحت لملجأ أيتام جبت يتيم أو اتنين أو تلاتة أكلوا معاك من الأكلة اللي أنت بتحبها، "وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ"، معنى "وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ" هو محتاج جدًّا، هو فقير أصلًا، أنا فقير أصلا معييش فلوس، ومع ذلك أنا معايا فلوس يسيرة جدًّا على قد ولادي، فأنا قسمت الفلوس دي

---

[3] صحيح البخاري

[4] صحيح الترمذي

بين أولادي وبين الأيتام، والله أنت ما تعرف قدر المال اللي أنت طلعته وأنت محتاجه ده لليتيم قدره إيه، قال الله –سبحانه وتعالى–: "إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * –بصوا– فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا" الإنسان٩:١٢، باقي سورة الإنسان، اللي بتتكلم على نعيم الجنة، ده كله ليه؟ لأنه في يوم من الأيام أكل يتيم أكلة هو بيحبها، أو أكلة هو كان في حاجة إليها، عشان تعرفوا قد إيه الإسلام راعى مسألة اليتيم.

مش كده وبس، من أهم ما يتعلق بمسألة اليتيم، الجانب العاطفي، جانب المشاعر الموجود عند اليتيم، مش مسألة أروح أرمي التلاتين جنيه وبس، لا، ده أنا لازم يكون فيه جانب عاطفي موجود، عند أحمد من حديث أبي هريرة، جاء رجل إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– يشكو إليه قسوة قلبه، فقال: "إنْ أَحْبَبْتَ أنْ يلينَ قلبُكَ فَامْسَحْ رَأْسَ اليَتِيمِ"، أمسح رأس اليتيم دي مسحة الرأفة، العطف، المحبة، الشفقة، المشاعر، الحنان، الأبوة، كل المعاني دي اللي تبقى موجودة في المسحة دي.

كذلك أيضًا من ضمن الأمور المتعلقة باليتيم، هي تأديب اليتيم، وتعليم اليتيم، بوَّب البخاري باب فقال: "باب أدب اليتيم"، عن شميسة العتكية، قالت: ذُكِرَ أدب اليتيم عند عائشة، فقالت: "إِنِّي لأَضْرِبُ اليَتِيمَ حتى يَنْبَسِطَ"[٥]، أنا في بعض الأوقات ممكن أضرب اليتيم من باب التأديب، من باب التعليم، من باب إن أنا أفهمه، وأعرفه، مش معنى إنه يتيم، أطلق له العنان، زي للأسف ما بنشوف في بعض المصالح الحكومية، اللي بترعى الأيتام، سايبة لهم الحبل على الغارب، فينتشر –والعياذ بالله– بينهم الشذوذ والانحراف، فيه مكان متعلق بالأمر ده، معروف إن اللي فيه للأسف لم يُهْتَمّ بهم، لم يؤدبوا، لم يعلموا، فمنهم البلطجية، ومنهم اللي بيشيلوا سيوف وسكاكين وسواطير، ليه؟ متأدبوش بالأدب، ظنوا إن المسألة إن أنا أأكله وأشربه، وأوجد له مسكن، لأ، لأ، فين تعليم اليتيم! وفين تربية اليتيم! فين إنك تكون معاه كالأب الرحيم، كما قال عبد الرحمن بن أبزى، قال داود: "كن لليتيم كالأب الرحيم"، وده –سبحان الله– باب كامل، قال البخاري: "باب كن لليتيم كالأب الرحيم"، الأب الرحيم بيروح يرمي فلوس وخلاص ولا بيأدب! بيروح يرمي فلوس وخلاص ولا يعلم! يروح يرمي فلوس وخلاص!، لا لا لا عشان كده أنا بقول لإخواننا، ليه النهاردة إخوانا الملتزمين ما بيروحوش ملاجئ الأيتام، وكل أخت النهاردة تقعد مع مجموعة من البنات اليتيمات تعلمهم قرآن، تعلمهم السنة، تعلمهم الآداب، يقينًا إلا من رحم ربي إن الملاجئ لا تعلم أصلًا، ليه ما يكونش إحنا لنا دور هناك؟! ليه إخوانا الملتزمين ما يروحوش لدور الأيتام، بدل ما ينتشر الشذوذ بين الأولاد في هذه المرحلة، وفي هذا السن! أنتم تعلموهم الدين، وتعلموهم الصلاة، وتعلموهم القرآن، وتعلموهم الآداب، ليه؟! احنا ليه مقصرين في حاجة زي كده؟

وعن الحسن قال: "لقد عهدت المسلمين" أنا كبرت واتربيت وسط المسلمين، وأنا بشوفهم "وإن الرجل منهم يصبح يقول لأهله: يتيمكم يتيمكم، مسكينكم مسكينكم، جاركم جاركم"، أنا عاهدت المسلمين، أول ما الواحد يصحى الصبح يقول لزوجته: ها، أخبار الأيتام إيه؟ عايزين النهاردة نعمل إيه؟ عايزين النهاردة نكفل يتيم، ونرعى اليتيم، وغير ذلك.
وعن أسماء بن عبيد، قال: قلت لابن سيرين: عندي يتيم، فقال: اصنع به ما تصنع بولدك، اضربه ما تضرب ولدك، ارحم هذا اليتيم زي ما بترحم ابنك، أكله زي ما بتأكل ابنك، شوفوا الإسلام وصى لليتيم إنه يتعامل زي ما الأولاد بيتعاملوا، زي ما ابنك بتعامله عامله، زي ما

---

[٥] صححه الألباني

انت بتبقى حريص إنك تعلم ابنك؛ علمه، زي ما أنت حريص إنك تخرج ابنك وتفسحه، خرج اليتيم، وفسحه، أين هذه التعاليم الآن في حياتنا؟

من الأمور أيضًا التي أمرنا ربنا –تبارك وتعالى– بها: الحفاظ على مال اليتيم، كم رأينا للأسف من أقوام، أم مات زوجها، وترك أموال؛ الأموال دي أموال أيتام، ونلاقيها مثلًا الأم دي مهتمة إنها تجيب عفش للبيت، وتجيب أحسن هدوم، وتجيب كذا وتجيب كذا، فصرفت كل الأموال! أنفقت كل الأموال! وضيعت أموال الأيتام، كم رأينا من –للأسف– من جمعيات خيرية، واحد يروح يقول لها: أنا المائة ألف جنيه دي للأيتام على مدار السنة، ياخدوا المائة ألف جنيه دي، يجيبوا مش عارف بها إيه، ويعملوا بها إيه، ويسووا بها إيه، ويضيعوا مال اليتيم، ربنا –عز وجل– يقول: "وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا" الإسراء:٢٦، وقال الله –سبحانه وتعالى–: "وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" الإسراء:٣٤، النبي علمنا إن في يوم من الأيام مؤسسة، جمعية خيرية، حد مسئول عن أيتام، ضيع أموال الأيتام، لم يتقِ الله –عز وجل– في هذه الأيتام، تكون النتيجة أنه وقع في موبقة من الموبقات التي تدخل في النار، فقال –صلى الله عليه وسلم–: "اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ"، ومن بينها "وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ"[6]، وقال الله –سبحانه وتعالى–: "إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا" النساء:١٠.

محتاجين إخواننا أصحاب التنمية البشرية، وعلوم التنمية البشرية وضوابط التنمية البشرية، روح لليتيم، علمه تنمية بشرية، روح علمه إزاي يتعامل مع الناس، اليتيم عنده يعني أخلاقيات رايحة شوية، عنده نفسيات منهارة، بسبب إنه شايف لا له أب ولا له أم، مرمي في الشارع، والناس بتنظر إليه نظرة سيئة، محتاجين الدكاترة النفسيين يروحوا يتابعوا معهم، ويشوفوا أحوالهم، ويشوفوا أخبارهم، محتاجين إخوانا اللي عندهم كمبيوتر، وبيتعلموا الكمبيوتر، وعندهم علم بالكمبيوتر، روحوا علموهم، وفهموهم، محتاجين النهاردة آباءنا أصحاب الأموال، روحوا شوفوا الأيتام، ارعوهم، فيه واحدة يتيمة بتتجوز ومش لاقية حد ينفق عليها، روح زوج يتيمة لعل إن ربنا –عز وجل– يرحمك بها في الدنيا والآخرة، النجاة من عقبة يوم القيامة متوقفة على إطعام الأيتام، والحفاظ عليهم، ومراعاة اليتيم أخلاقيًّا، وأدبيًّا، وسلوكيًّا، ومعنويًّا، وعاطفيًّا، كل ده لازم يكون موجود داخل المجتمع تجاه اليتيم.

ده كان الجزء الأول اللي الشيخ الإمام البخاري رحمة الله عليه أتكلم عليه.

بعد كده أتكلم الإمام البخاري –رحمة الله عليه–، على جانب آخر، ألا وهو: جانب الخدم والعبيد.

لو في يوم من الأيام ربنا –عز وجل– منّ على إنسان إنه عنده خدم، أو عنده عبد من العبيد، أو أمة من الإماء، كيف يتعامل معهم؟

بوّب الإمام البخاري باب، فقال: "باب حسن المِلْكَة"، ومعنى حسن الملكة، إن أنت تكون تملك عبد فتحسن إليه، أو عندك خادم فتحسن إليه، وذكر فيه حديث عليّ –رضي الله عنه– أنه قال: كان آخر كلام النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– أن قال: "الصلاةَ الصلاةَ، اتَّقوا اللهَ فيما ملكت أيمانُكم"[7].

مهم جدًّا أن تتقوا الله في هذا العبد، أو في هذا الخادم.

---

[6] صحيح البخاري

[7] صحيح الترغيب

وبدأ يذكر الشيخ –رحمة الله عليه– بعض الآداب المتعلقة بالخادم.

الأدب الأول: وهذا الأدب الأول اللي النبي –صلى الله عليه وسلم– ذكره هو ما يتعلق بحسن المعاملة، إن مش معنى إن ده خادم عندي إن أنا أعامله معاملة سيئة، أو مش معنى إن ده عبد عندي إن أنا أعامله معاملة سيئة، في صحيح البخاري إن أنس –رضي الله عنه– قال: "خدمتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم عشرَ سنينَ، فما قال لي أُفٍّ قطُّ"[8] قعدت مع النبي عشر سنين؛ عمر النبي –صلى الله عليه وسلم– ما قال لي أف قط!

الأمر التاني: من أهم الحقوق المتعلقة بهؤلاء، هي رحمة أصلًا هذا الإنسان، يعني إحنا ياما سمعنا، عن واحد كان عنده بنت صغيرة بتخدم في البيت ضربها لحد مع عماها، أو ياما سمعنا، إن واحدة عندها خادمة تضربها بالأقلام، وياما شفنا! وياما شفنا! كفيل في السعودية عشان عنده حد؛ ماسك الولد يا عيني عمال يضربه بالأقلام، ما هو تحت رحمته! ما رأينا هذا، ده ليس من الدين في شيء، كم رأينا من كفلاء منعوا الأجراء اللي تحت أيديهم حقوقهم! وإلا هنحبسكم وهنعمل فيكم ونلبسكم قضايا! سبحان الله!

النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول، كما عند البخاري، وده حديث أرجو إن هو يكون واضح بالنسبة لنا، وواضح بالنسبة لكل حد عنده خادم أو عنده أجير، في البخاري أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "قال الله –عز وجل–: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة"، النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: أنا خصيم يوم القيامة لفلان، إنما أنا ما وجدت في حديث فيما أعلم، إلا هذا النص أن الله هو الذي يقول ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة، في تلاتة ربنا هو اللي هيخاصمهم يوم القيامة، "ثَلاثَةٌ أنا خَصْمُهُمْ يَومَ القِيامَةِ: ... ورَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أجِيرًا فاسْتَوْفَى منه ولَم يُعطِه أجرَه"[9]، راجل فيهم استأجر أجير ثم لم يعطِه حقه، يقول له تعالى أنا هعمل لك عقد بتلات ألاف ريال، وبعد كده يديله ألف، ويقول له هو كده، وقال –صلى الله عليه وسلم–: "مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ"، الحديث أيضًا في البخاري، قال الحافظ: "معنى مطل الغني يعني تأخير المستحقات للأجير بغير حق".

كذلك أيضًا من الحقوق المهمة جدًّا المتعلقة بالأجير، أو بالخادم، أو بالعبد: رحمته، والشفقة عليه، مش معنى إن هو تحت أيدي، إن أنا أضربه، أو أشتمه أو أقول له كلمة تجرحه، مش معنى إن هو تحت أيدي إن أنا أبقى نايم في عز البرد الشديد، متغطي بأفخم الحاجات، وسايبه هو نايم في البرد تحت، لا لا، الشفقة والرحمة والرأفة.

النبي –صلى الله عليه وسلم– والحديث ذكره الشيخ قال "باب أدب الخادم"، أدب بس بدون قسوة، وبدون عنف، عن أبي مسعود قال: "كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِن خَلْفِي صَوْتًا: اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عليه، قال: فالتفت، من شدة الصوت، الصوت اللي أنا سمعته ورايا، السوط اللي أنا كنت بضرب بيه وقع، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هو رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، هو حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، من شدة غضب النبي، ونرفزه النبي، قلت: هو حر، فَقالَ: أَما لو لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ"[10]، طب صورة الإماراتي اللي ماسك العقال عمال يضرب واحد باكستاني، وصورة السعودي اللي ماسك واحد عمال يضربه بالأقلام على وشه! ولا صورة واحد خليجي كفيل ظالم، طبعًا فيهم الخير، وفيهم من أهل الأمانة، وفيهم من أهل الرحمة والشفقة كتير، ولكن دي نماذج إحنا

---

[8] صححه الألباني
[9] صحيح البخاري
[10] صحيح مسلم

بنشوفها في فيديوهات أكتر من أن تحصى، وأنا أرجو إن الإخوة في المونتاج يحطوا بعض الفيديوهات دي واحنا بنتكلم، لما يقولُّوا نزّل أيدك، فده ينزّل أيده فيقوم ضاربه بالقلم، يجي يرفع إيده يقول له نزل إيدك ويقوم ضربه بالقلم، النبي بيقول له لولا أنه حرره قال له: أَمَا لو لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، الله –سبحانه وتعالى– يقول: "تَلْفَحُ وَجُوهَهُمُ النَّارُ" المؤمنون:١٠٤، قال ابن مسعود: هذا أدنى عذاب، أدنى العذاب إن النار تلفح وجوههم، قال: فإذا لفحتهم لا تبقي على وجه مزعة لحم، دا ده عشان في يوم من الأيام ضرب الخادم أو ظلمه.

فمن أهم الأمور اللي الشيخ ذكرها هنا إن أنا أأدب، بس برحمة، بشفقة.

كذلك أيضا تعليمهم، إن أنا أعلمهم، قال –صلى الله عليه وسلم–: "ثَلاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: الرَّجُلُ تَكُونُ له الأمَةُ، فيُعَلِّمُها فيُحْسِنُ تَعْلِيمَها، ويُؤَدِّبُها فيُحْسِنُ أدَبَها، ثُمَّ يُعْتِقُها فَيَتَزَوَّجُها"[11]، خد أجر على إنه أعتقها وتزوجها، والأجر إنه علمها وأدبها وأحسن إليها، فين إحنا من الكلام ده؟! عندنا بنت صغيرة شغالة عندنا في البيت، هل إحنا أدبناها زي ما بنأدب أولادنا؟ أبدًا إلا من رحم ربي.

كذلك أيضًا عدم تكليفهم ما لا يطيقون، بعض الناس كده طالما أنا عندي خادم، عندي عبد، أنا لازم أدوس عليه برجلي، أهرسه تحت رجلي كده، ليه؟! خادم عندي! خادم عندي، والشيخ جعل باب كامل في هذه الجزئية، فقال –رحمة الله عليه–: باب "لا يكلف العبد من العمل ما لا يطيق"، وذكر فيه حديث أبي هريرة أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "لِلْمَمْلُوكِ طَعامُهُ وكِسْوَتُهُ، ولا يُكَلَّفُ مِنَ العَمَلِ إلَّا ما يُطِيقُ"[12]، وذكر حديث: "إنَّ إخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أيْدِيكُمْ، ..... ولَا تُكَلِّفُوهُمْ ما يَغْلِبُهُمْ، فإنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ ما يَغْلِبُهُمْ فأعِينُوهُمْ"[13]، إذا كلفتوهم في يوم من الأيام من الأعمال ما لا يطيقوا، فأعينوهم، ساعدوهم.

كذلك أيضا من الأمور المتعلقة بالخادم عندي، أو عبد عندي، أو واحد شغال عندي، مسألة، النفقة عليه، كسوته، إن أنا أكسيه، وأأكله، وغير ذلك، وذكر الشيخ في ذلك عدة أحاديث:

منها: حديث النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون"، إلى آخر الحديث، "أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون"، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–، كما في الصحيحين، من حديث أبي هريرة: "إذا أتَى أحَدَكُمْ خادِمُهُ بطَعامِهِ، –يعني الخادم إذا جاء لواحد فيكم، بالطعام– فإنْ لَمْ يُجْلِسْهُ معهُ، فَلْيُناوِلْهُ لُقْمَةً أوْ لُقْمَتَيْنِ أوْ أُكْلَةً أوْ أُكْلَتَيْنِ، فإنَّه ولِيَ عِلاجَهُ"[14]، أنا الخادم بتاعي عمل لي أكل اديله قبل ما تاكل، مش بعد ما تخلص أكل تدي له الفضلة، لا، قبل ما تاكل اديله، أكله من الأكل اللي أنت بتاكله، هو اللي تولى هذا الأكل، اديله إنه ياكل من هذا الأكل.

وقال النبي –صلى الله عليه وسلم– كما في مسلم: "لِلْمَمْلُوكِ طَعامُهُ وكِسْوَتُهُ، ولا يُكَلَّفُ مِنَ العَمَلِ إلَّا ما يُطِيقُ"، النفقة عليه؛ إنك تديله فلوس، يجيب أكل، يجيب شرب، يجيب حاجة، وغير ذلك.

---

[11] صحيح البخاري
[12] صحيح مسلم
[13] صحيح البخاري
[14] صحيح البخاري

عند أبي داود قال: إن النبي –صلى الله عليه وسلم– أمر بالصدقة، "فقالَ رجلٌ: يا رسولَ اللَّهِ عندي دينارٌ، قالَ: تصدَّق بِهِ علَى نفسِكَ، قالَ: عندي آخرُ، قالَ: تصدَّق بِهِ على زوجتِكَ قالَ: عندي آخرُ، قالَ: تَصدَّق بِهِ على ولدِكَ قالَ: عندي آخرُ، قالَ: تصدَّق بِهِ على خادمِكَ"[15]، تخيلوا النهاردة قدر الإذلال، قدر المعاناة، التي يشعر بها الخدم عند الناس، ليه؟! لأن الناس للأسف لم تعلم هذا القدر، بل ممكن في بعض الأوقات بعض الناس نظرًا لأن هيا خادمة عندي بقت مستباحة، لا بأس أبدًا أطعنها في شرفها، وأطعنها في عرضها، وأقذفها في عرضها، والنبي –صلى الله عليه وسلم– حذر من هذا، فقال: "مَن قَذَفَ مَمْلُوكَهُ، وهو بَرِيءٌ ممَّا قالَ، جُلِدَ يَومَ القِيَامَةِ"[16]، يوم القيامة الإنسان ده صاحب الخادم ده، يوم القيامة ربنا يجلده الحد كامل يوم القيامة، تخيلوا بقى الجلد يوم القيامة يبقى عامل إزاي!

كذلك أيضًا من الأمور اللي نهى عنها الشرع، والشيخ ما شاء الله أهتم بها جدًّا، مسألة شتيمة العبد، إن أنا خلاص ما هو عبد عندي أشتمه وألعن سلسفين اللي جابه كمان، يا دي المصيبة يا ولاد، هذه مصائب إحنا بنشوفها في التعامل مع الخدم في زمننا، أو مع العبيد قديمًا، النبي –صلى الله عليه وسلم– لما في يوم من الأيام سمع أبا ذر يسب غلامًا له، فقال له يا ابن السوداء! فشكى هذا الرجل إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– فقال –صلى الله عليه وسلم–: "يا أبَا ذَرٍّ أعَيَّرْتَهُ بأُمِّهِ؟ إنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أيْدِيكُمْ"[17]، ما ينفعش، ما ينفعش يبقى فيه شتيمة.

كذلك أيضًا الشيخ بوب باب آخر، فقال –رحمه الله–: "باب لا تقل قبح الله وجهه"، كما في حديث أبي هريرة، أن النبي قال: "لا تقل قبح الله وجهه"، ما تشتمش الخادم.

كذلك أيضًا مسألة الضرب، اللي أصبحت الآن، هو خادم عندي، خادمة عندي! بقت كلأ مستباح، يضَّرَب، ويتشتم ويتهان.

كما ذكر الشيخ عدة أبواب في هذه الجزئية، فقال: "من لطم عبده فليعتقه"، عن هلال بن يساف يقول: كنا نبيع البَزَّ في دار سويد بن مقرن، فخرجت جارية فقالت لرجل شيئًا، فلطمها ذلك الرجل، فقال له سويد: ألطمت وجهها؟ لقد رأيتني سابع سبعة وما لنا إلا خادم، فلطمها بعضنا، ما كانش عندنا إلا خادم واحد فلطمها بعضنا، فأمره النبي –صلى الله عليه وسلم– أن يعتقها.

وعن ابن عمر: سمعت النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: "مَن لَطَمَ مَمْلُوكَهُ، أَوْ ضَرَبَهُ، فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ"[18]، لو في يوم ضربه بغير حق، فالكفارة إنه يعتقه، كما قال –صلى الله عليه وسلم–.

كذلك أيضًا من الأمور اللي ما ينفعش نعملها مع الخدم، إن أحنا ندعي عليهم، روحي إلهي ربنا يبتليكي بكذا، روحي ربنا يعمل فيكي كذا، النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: "لا تدعُوا على أنفُسِكُمْ، ولا تدعُوا على أولادِكم، ولا تدعوا على خدمِكم"[19]، حاولوا يا جماعة تعودوا نفسكم إن الخادم، واحدة خادمة في يوم من الأيام ماسكة طبق وقع اتكسر، صاحبتها تضربها، وتشتمها، وتهزقها، وتقول لها آخر

[15] أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد
[16] صحيح البخاري
[17] صحيح البخاري
[18] صحيح مسلم
[19] صحيح الجامع

يوم تيجي هنا، ليه يا جماعة! حاولوا تعفو، طالما الأمر بسيط، طبق انكسر؛ إيه طبق انكسر؟ كان ممكن ابنك الصغير ياخد الطبق ويتكسر، حاولوا تعفو، اعفو عن الخادم، النبي -صلى الله عليه وسلم- كما عند أبي داود قيل: "يا رسولَ اللهِ، كم نعفو عن الخادمِ؟ فصمَتَ، ثم أعادَ عليه الكلامَ، فصَمَتَ، فلما كان في الثالثةِ قال: اعفُوا عنه في كل يومٍ سبعين مرةً"[٢٠]، يا عم اعفُ عنه، والشيخ بوّب بابًا فقال: "باب العفو عن الخادم".

من الأمور المهمة جدًّا برضه في مسألة الخدم، هي مسألة دعوتهم لدين الله -سبحانه وتعالى-، ودعوتهم للصح.

أحبابي في الخليج معروف فيه الخدَّامات الفلبينيات هناك، والأندونيسيات، والكلام ده، مين فينا النهاردة ممكن يأخذ ثواب عنده جارية، عنده خادمة فلبينية، أو أندونيسية، يدعوها إلى الإسلام، فتسلم، فتكون في ميزانها؟ كما صنع النبي -صلى الله عليه وسلم- مع الخادم اليهودي، اللي كان بيخدم النبي، لما النبي راح ودعاه للإسلام، فأسلم الخادم بفضل الله -سبحانه وتعالى-.

إذا كان ده متعلق بالخادم فكان لابد إن أحنا نقول له برضه للخدم عدة أمور مهمة جدًّا، لازم إن هما ياخدوا بالهم منها:

أول حاجة لابد أن يتقي الله -سبحانه وتعالى- في سيده، فليحافظ عليه، وليتق الله فيه، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: " ثَلاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: .... وعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أدَّى حَقَّ اللهِ تَعالَى وحَقَّ سَيِّدِهِ"[٢١]، العبد المملوك أنا عندي خادم، أدى حق ربنا، وأدى حقي، ده له أجره مرتين.

كذلك أيضًا النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: "المَمْلُوكُ الذي يُحْسِنُ عِبادَةَ رَبِّهِ، ويُؤَدِّي إلى سَيِّدِهِ الذي له عليه مِنَ الحَقِّ، والنَّصِيحَةِ والطَّاعَةِ له أجْرانِ"[٢٢].

كذلك أيضًا لازم أعرف إن المملوك ده، يعني واجب عليه إنه يتقي الله في عملي، ويتقي الله في مالي، ويتقي الله فيما أصنع، سواء كان مملوك أو خادم، لقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "وعَبْدُ الرَّجُلِ راعٍ علَى مالِ سَيِّدِهِ وهو مَسْئُولٌ عنْه، ألا فَكُلُّكُمْ راعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّتِهِ"[٢٣].

الخادم أو العبد لازم يتقي الله -عز وجل-، يكون أمين، ويكون صادق، يقوم بواجبه على أكمل وجه، كما أن الله -سبحانه وتعالى- جعل له حقوق، فإن الله -عز وجل- جعل عليه واجبات.

نتقي الله في هذه الأمور وبالتالي تنصلح الأمور.

وبهذا نكون قد ختمنا بفضل الله -عز وجل- الدرس الرابع من كتاب الأدب المفرد.

أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يعلمنا وينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، ويجعلنا وإياكم ممن يتبعون القول فيتبعون أحسنه، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

---

٢٠ صحيح أبي داود

٢١ صحيح مسلم

٢٢ صحيح البخاري

٢٣ صحيح البخاري